الرسول الأمريكي

واشنطن. ٢٦ أيار/مايو ١٩٨٤

أقمنا في فندق ماريوت واشنطن، والذي تملكه عائلة من المورمان، أثناء مؤتمر فصل الربيع لحلف شمال الأطلسي لوزراء الخارجية. ولذا، فقد وضع هؤلاء "كتاب المورمان" الذي تصدره "كنيسة عيسى اليسوع لقديسي اليوم الأخير" في درج كل طاولة موجودة إلى جانب السرير. وكان نص هذا الكتاب، باللغة الإنجيلية، يُفْتَرض أن يكون من إعداد شخص يدعى جوزيف سميث، وهو من بالميرا - نيويورك، في عام ١٨٣٠، وكان على موائد من ذهب (أي أنه كان سرعان ما يختفي عن الأنظار فوراً).

ويعتقد عدة ملايين حالياً بهذا "الوحي" الأمريكي، وهذا دليل آخر على أن هناك أموراً بمنتهى السخافة والحمق يمكن أن تُعْتَبَرُ حقيقة لدى بعض الناس.

ولا يمكن، بالطبع، لدين رائع عاقل كالإسلام أن ينافس "حكايات عجيبة"، بل ولا يرغب الإسلام أن يفعل ذلك التحدي على الإطلاق.

وقد أعدت الكتاب إلى الدرج الذي كان فيه، وبسطت سجادة الصلاة التي أتيت بها من قونية، وصليت العشاء قبل أن أستلقي منهكاً بسبب فارق التوقيت والرحلة الطويلة التي استغرقت عشر ساعات.

الختان

اسطنبول. ٩ تموز/يوليو ١٩٨٤

ليس من السهل أن يجري المرء عملية ختان وهو في سنِّ الرجولة، حتى ولو تمّت العملية في مستشفى حديث ومن قبل طبيب جراح في نسنطاس *Nisantas*، وهذا أمر ليس كلعب الأطفال.

الختانُ عملٌ رمزي إلى أكبر درجة. ويشارك المختون في عادة تمارسها سلسلة من الناس ترجع في أصلها إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام، قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة. إن الإسلام لله، والإذعان لأوامره ونواهيه هو أمر لا رجعة فيه، كما هي الحال في عملية الختان.

ولم يرد ذكر الختان في القرآن الكريم. وهو سنَّةٌ أمرت بها التوراة، وأمر بها حديث رسول الله ﷺ، ضمن الأمور التي أكدتها الفطرة البشرية للنظافة والطهارة كقص الشعر، وتقليم الأظافر وحلق العانة وغيرها. ومن المؤكد أيضاً أن شهرة عادة الختان لها جذور راسخة في حياة المسلمين. وأما الحجة التي يقدمها شركاؤنا المعاصرون في المجتمعات الحديثة عن عملية ختان أولادهم من الذكور، وهي أنها عملية، وصحية، ولها فائدة جنسية، فهي حجة تكاد لا تجاوز سطح الحقيقة فقط، ولا تصل إلى جذورها.

خرافة

اسطنبول. ١٥ تموز/يوليو ١٩٨٤

الإسلام ضد أي شكل من أشكال الخرافة، إلا أن الأمر يبدو وكأنه خداع للبصر إذا اعتقدنا أن بلدان العالم الإسلامي كانت خالية تماماً من "عين الحسود"، والسحر، والنفاثات في العقد (كما ورد في القرآن الكريم - سورة الفلق - ١١٣:٤). كما أن أوامر القرآن الكريم وتعاليمه ونصوصه فيما يتعلق بالمنجمين والسحرة لم تَحُلْ دون انتشار عادة أقرب ما يكون إلى العادات الجدية وهي قراءة الطالع من خلال قراءة قعر فنجان القهوة التركية مثلاً.

ويبدو أن كثيراً من "المتنورين" الأتراك انخلعوا [والعياذ بالله] من ربقة الإسلام، إلا أنهم لا يزالون عرضة للخرافات، ولا يزالون يقعون تحت تأثيرها، مؤكدين بذلك الحقيقة الرائعة: "هناك خرافةٌ حيث لا يوجد إيمانٌ".

والعجيب أن هناك أمراً يقع على حافة "السحر" تقريباً، أُدْخِل في نسيج الإسلام ذاته فيما يتعلق بالدور المشكوك فيه الذي تلعبه سورة "يس"، فهناك من يعتقد أن قراءة هذه السورة، وخاصة من قبل شيخ، سواء للحيِّ أو للميت، هو أمرٌ فعال ومؤثر.

ولكن، كيف نفسر هذا الأمر إذا اتخذها أحدهم، أو اتخذ أي نص من نصوص القرآن الكريم، حجاباً أو تعويذة أو تميمة يحملها في أي جزء من جسده؟ أليس هذا الدفاع ضد أقدار الله سلاحاً مزوراً ضد قضاء الله؟ أجل، هناك من يمكن الإمساك به من النساء تصنع اللبن الرائب من

الحليب الذي تمت قراءة سورة "يس" عليه، على أنه له قدرة علاجية شافية ومضمونة للمناعة ضد "العين" (للأشخاص المنظورين).

إن الرجل ميال، بالطبع، وعنيد للتأثير على قَدَره (أو قدر الآخرين)، ومحب للتعرف على مستقبله، أو تسخير قوى لدعمه ومساندته. ومن المحزن أن الإسلام لم يستطع من التخلص من هذا الضعف والقضاء عليه. ترى، هل كان يجب تكرار مزيد من آيات القرآن الكريم التي تنص على أنه ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾، وأن الله ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ وأنه لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه؟

أليس الإسلام أكثر الأديان اعتدالاً وعقلانية؟ هل يفتقد بعض المتدينين "آلهة" رومانية مصمودة على قطعة من الموزاييك الذهبي؟ هل يريد أمثال هؤلاء إلهاً مصلوباً يستطيعون لمسه بأيديهم؟ هل يبحثون عن إلهٍ طفلٍ يدير أعمالهم وشؤونهم؟

"أعوذ بالله!"

أستغفر الله في حال النصر

روما. ١٥ تشرين أول/أكتوبر١٩٨٤

كنت عائداً من محاضرة في حلف شمال الأطلسي عن: "الرأي العام والدفاع"، كان لدي شيء من الوقت أدرس فيه سورة النصر؛ السورة ١١٠ في القرآن الكريم، وذلك في مطار فيوميسينو. كنت أعرف النص العربي، كما كنت أعرف ترجمة معاني السورة، إلا أنني كنت أخشى حفظه عن ظهر قلب بطريقة مغلوطة عن اللفظ. لهذا، بدأت بالسلام شخصاً تونسياً يرتدي طربوشاً أحمر، كان يجلس في قاعة المغادرين. وبدأ يقرأ عليَّ سورة النصر إذ فهم طلبي وسؤالي، وكأنه كان يتوقع هذه الدعوة مني منذ زمن طويل. وقرأ عليَّ سورة النصر.

وحسب ما جاء في آخر آية في هذه السورة، ففي ساعة النصر، يؤمر المسلمون بالتواضع لله والاستغفار وطلب المغفرة، وليس بالاعتزاز والافتخار. يا له من أمر مدهش! ترى ماذا يكون شكل التاريخ الدبلوماسي لو أن رجال الدولة فهموا هذه النصيحة؟ ترى هل كان يمكن تجنب الحرب العالمية الثانية لو أن كليمنصوه *Clemenceau* وبوينكاريه *Poincare* تقيدوا بمعنى سورة النصر عام ١٩١٩ بدلاً من أن يغوصوا في معاني الحقد فيما بينهما؟

ديونايسيوس الأريباغتي
The Dionysius Areopagita saga

لندن. ٢٤ تشرين أول/أكتوبر ١٩٨٤

إن عمي؛ هوجو بوول *Hugo Ball*، الذي أنشأ مذهب الدادية في الفن خلال الحرب العالمية الأولى، [وهو مذهب في الفن والأدب انتشر في سويسرا وفرنسا ما بين ١٩١٦ ـ ١٩٢٠ يتميز بالتأكيد على حرية الشكل تخلصاً من القيود التقليدية]، لم يشتهر بشعره الإبداعي فحسب الذي يتميز بموسيقاه وإيقاعه فقط، ولكنه اشتهر أيضاً بنقده المستبصر للمجتمعين الماضي والمعاصر. ولابد أن يذكر أيضاً بإسهاماته الهامة في المجال الديني من خلال كتابه: "النصرانية البيزنطية" الذي نشر في ميونيخ عام ١٩٢٣، وصدرت طبعته الثانية عام ١٩٧٩.

ويركز عمي الكاتب في كتابه هذا على قديس غريب من نوعه اسمه: ديونايسيوس الأريباغتي *The Dionysius Areopagita*، وهو مؤلف ديني كتب عن الملائكة، والذي كان يُعْتَبَرُ في القرون الوسطى معاصراً للقديس بولس، وبالتالي، كان يُعْتَبَرُ أيضاً شاهداً على أصول النصرانية. وبناء على هذا، وبناء على كتاباته الأصيلة، اعتقد به اعتقاداً تاماً ثوماس آكيوناس *Thomas Aquinas*.

وبما أننا لا نعرف سوى القليل اليوم عن شخصية ديونايسيوس (فلذلك سنسميه ديونايسيوس ـ الزائف)، إلا أننا نعرف أكثر بكثير مما عمله ثوماس آكيوناس خلال حياته بأكملها عن أصول كتابات ديونايسيوس. فأيما كان ديونايسيوس، فإنه عاش قبل أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس، وكان متأثراً إلى حد كبير بالكاتب بروكلوس

Proclus، إلى درجة أنه أصبح أفلاطونياً محدثاً أصلياً وغنوسطياً[1] بطريقة تفكيره. وهكذا، فسرعان ما قبلت الكنيسة اعتقاده من بين العقائد المبكرة التي قبلتها، وخاصة عقيدة ديونايسيوس التي عرفت بـ: "الدينية الرمزية"، والتي تضمنت تأملاته عن التركيب الهرمي للكون، والتي تأسست فعلياً بعد أكثر من ستة قرون بعد [رفع] المسيح عليه السلام.

وأما بالنسبة لطلبة الإسلام فإن ديونايسيوس، وهو صوفي يوناني، فهو مهم جداً، وخاصة إذا أرادوا أن يفهموا بعض المظاهر المحددة عن عقيدة كل من الصوفية والشيعة، وبخاصة مفاهيم مثل: "النور"، و"الإضاءة"، و"الألوهية العظمى" و"الانجذاب الصوفي" و"الاتحاد أو الحلول". وعلى شرف ديونايسيوس ينبغي أيضاً أن نكرر أنه في رسالته الأولى إلى "جيوس" *Gaius* أقر بأن: "الإدراك الحقيقي لله هو اللاإدراك ذاته". وكذلك، "لو أن أحداً ادعى أنه رأى الله يدرك ماذا رأى، فإنه لم ير الله ذاته. ذلك أن الله لا يمكن إدراك ذاته العلية، وهو فوق كل المخلوقات سبحانه. إنه - سبحانه وتعالى - لا يمكننا أن ندركه، وليس له طبيعة يمكننا أن نتعرف عليها، إنه تعالى جده أجلُّ وأعظم وأكبر من كل الكائنات، إنه اللاإدراك التام، بل إنه الإدراك الحقيقي..."

لقد أثبت هوغو بوول أن ديونايسيوس قد استخدم الكثير من الأفكار الغنوطسية والمفاهيم التي استمدت من الألغاز النورانية الفارسية. ولقد كانت تلك المصطلحات والمفاهيم نموذجية للأديان السرية القديمة وهي التي كانت تغرس نظريات كونية رائعة، وبخاصة ما يتعلق بالطبيعة، والحال، والعمل، وترتيب الملائكة بصورة هرمية. ولقد تركت هذه الأفكار بصماتها على العالم النصراني، كما أنها انطلقت واستمرت من افتراض له معنى بشكل عام، ومن الجزء الحسي للإنسان

---

(١) مذهب العرفان، إن المادة شر وإن الخلاص يأتي ع/ط المعرفة الروحية.

بشكل خاص، الذي كان رديئاً، بل حتى شريراً. إن هذه المانوية، وهذه العبادة لشياطين العالم، قد كانت بمثابة أساس للبنية التحتية الكبيرة لعوالم أعلى يستطيع الإنسان من خلالها الارتقاء أو العروج إلى الخلاص والتطهير.

إن كل تلك الأفكار تقصر خطوة واحدة فقط عن التفسيرات التي قدمها دكتور الإسلام المحير في القرن الحادي عشر، أبو حامد الغزالي، والتي قدمها بناء على تفسير الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور.

يعرف الكثيرون هذا الفيلسوف المتنوع الثقافات، والفقيه، والعالم الديني المتميز من خلال "هدمه" للتأملات والتخرصات الميتافيزيقية [ما وراء الطبيعة] "تهافت الفلاسفة"، وأما كتابه "إحياء علوم الدين"، و"العقائد" الذي أبدع فيه تماماً. ولكنه، كما هو واضح من كتابه "مشكاة الأنوار" فقد كان الإمام الغزالي صوفياً أيضاً.

وقد وجدت هذا الكتاب اليوم، بعد عناء طويل، على رفوف إحدى المكتبات الإسلامية على طريق سيفن سيسترز في لندن، مترجماً بالإنجليزية للمترجم دبليو. جيردنر. وقد التهمت هذا الكتاب التهاماً أثناء انتظاري لرحلة العودة في مطار هيثرو بلندن.

وقد اعتمد هذا الكتاب اعتماداً كبيراً على تأملات كل من الغنوطسية والأفلاطونية الجديدة والتي تُعْتَبَرُ عادية ونموذجية في الفكر التشبيهي لدى ديونايسيوس، فقد تجرأ الإمام الغزالي على تفسير عدة ألفاظ ومعان مظلمة ومحيرة في القرآن الكريم. فهو يأخذ كلمة "الروح" على سبيل المثال، فيقول: هل يجب أن تفهم هذه الكلمة على أنها: "الروح البشرية، أم "الوحي" الإلهي، أم "الإلهام" أم مشخصة في "الروح الأمين، جبريل عليه السلام"؟ أو: "المطاع": جبريل عليه السلام، (الذي بنى الكون على أنه خليفة الله، وليس الخالق، أو نظرية الصدور أو الفيض الأول في خلق العالم؟

و"الكلمة" *Logos* والتي يمكن حملها على ظاهرها حرفياً ككلمة، أو يمكن حملها على أنها مشخصة على التشخيص وأنها الفيض: "كلمة الله"، "روح العالم"، الكائن. أو "الأمر": فهل هو "أمر الله"، أم أنه أمر خالق الكون المادي، كما هو عند أفلاطون، على أنه "المحرك الأساسي" الذي يعمل بأمر الله؟ بل حتى إن كلمة "النور" يمكن أن تفسر على أنها "النور" الفعلي، أو على أنها اسم من أسماء الله الحسنى، أو على أنها تعني رسول الله محمداً ﷺ، أو كما هي في الأفلاطونية الحديثة "خالق العالم المادي.

وقد برزت فكرة خلق العالم المادي أثناء تلك المحاولات لتعريف المصطلحات القرآنية بشكل متكرر. وهذا الأمر لم يكن مجرد مصادفة. لقد كان هذا الأمر أساسياً في الغنوطسية والفكر الأفلاطوني الحديث للتفكُّر بمعنى "الله"، العليِّ، الصمد، الذي يتعالى عن علم الخلق ذاته، ولذا، فإن الخلق هو عملية غير مباشرة عن طريق مستوى ثانٍ هو "المحرك الأساسي".

ولاشك أن الأمر يحتاج إلى الكثير من التأمل والتدبر والخيال لندرك النظرات الرمزية للإمام الغزالي، وخاصة عند تحقيق هذا النوع من الكونيات، إذ أن هذا نقله إلى حيث يصعب الوجود في منطقة يكاد يقبل فيها ما يمكن مقابلته مع مفهوم "ابن الله" [حاشا وكلا]، وبهذا يخالف العقيدة الأساسية لدين الإسلام وهي "التوحيد".

ويمكننا أن نتصور لحظة على الأقل، أن الغزالي، على ما يبدو، استبعد الحكم الأساسي لتفسير المصطلحات القرآنية كما في سورة آل عمران ٣/٧: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾.

إذا استطعت أن تخبرني عن العلاقة بين المسلم الصوفي، والأفلاطوني الحديث اليوناني - الفارسي، والغنوطسي، فإني مخبرك عن آرائه وتصوراته.

لقد ظنوا أنني أمزح...

بروكسل. ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤

قدمت للمشاركين اليوم في المؤتمر السنوي لحلف شمال الأطلسي لرؤساء أقسام المعلومات في وزارات الدفاع بصفتي رئيساً لهذا المؤتمر، قدمت لهم معلومات عن الاتجاهات المتوسطة المدى للرأي العام.

وقد حاولت أن أضع أصبعي على أعراض التغير التدريجي للوعي، وبخاصة بين أفراد الجيل التالي. إذ إنني أرى كثيراً منهم مثاليين، إلا أنهم أخلاقيون متشائمون يشجعون القيم وراء - المادية، ويظهرون حاجة خاصة للاتحاد، والرغبة لاتباع قيادة قوية العاطفة. كما أن رغبتهم واستعدادهم للاستسلام لبهرجة زائفة مبتذلة تبدو واضحة تماماً أثناء حضورهم لحفل موسيقي صاخب. ومع ذلك كله، فيبدو أن كثيراً من هؤلاء الشباب متحررون من الوهم والتأثر. إنهم لا يثقون بما يسمى "ديموقراطية"، و"المعاهد الحكومية"، أو بالسلطتين العامة أو الخاصة بشكل عام. ولهذه الأسباب وغيرها، فإنهم يخفون مخاوف وهواجس كبيرة عن المستقبل.

وقد أشرت خلال عرضي إلى حقيقة أن هذه الظواهر ما هي في واقع الأمر سوى "رأس جبل الجليد" لحقائق تمزقات اجتماعية - حضارية تمَّ توقعها منذ زمن بعيد من قبل المراقبين اليقظين أمثال عالم الاجتماع في جامعة هارفارد الأستاذ دانيال بيل *Daniel Bell* في كتابه: "التناقضات الحضارية للرأسمالية" *(The Cultural Contradiction of Capitalism)*، والأستاذ البلجيكي ليو ماولين *Leo Moulin* في كتابه *(L'Aventure europeenne)*.

وإني أربط نفسي بتحليلاتهم للمرحلة الحالية للثورة العلمية والتوسع التقني. وطبقاً لما يراه هؤلاء، فإن المجتمع الغربي، والذي يتميز بالديموقراطية الجماعية، وسيادة القانون، والتوجه التقني (أو بمعنى آخر: مجتمع لسوق صناعي رأسمالي بالكامل)، يعترف أن تطوره الذي حصل عليه إنما هو بفضل، وبتطبيق القيم "اليهودية ـ النصرانية"، التي صاغتها المشاعر الإنسانية المتحررة. لقد تمَّ إيجاد هذه القيم ابتداء على معتقدات وأفكار دينية مثل: تفرد الروح الإنسانية، الإخاء في حب المسيح، والاقتصاد، والشكر الآجل. إلا أنه أصبح من الواضح أن الموجة الاقتصادية الغربية فجرت (أو سممت) نفسها بزيادة نجاحها. فكلما ارتفعت سوية العيش ومستوى الرفاهية العامة ازداد النظام الاجتماعي في التقليل من أهمية الأساسات التي تحمله.

وتميل القيم، في هذه العملية، إلى التشوه. وقد تنقلب الفردية إلى "نرجسية"، وتنقلب العزيمة الذاتية إلى فوضى واضطراب، والتسامح إلى حيادية سلبية، والمرونة إلى لا مبالاة وعدم اعتبار لأية قيمة من القيم المتوارثة، والنعيم إلى لذة ذاتية محضة، والسعادة إلى استهلاك، والاقتصاد أيضاً إلى حب شديد للعمل من أجل العمل، والتنافس الشريف إلى تنافس تقطع فيه الرقاب، والحس المرهف إلى وسوسة، والشعور بالأخوة إلى "روح جماعية"، والمساواة إلى "تسوية"، والثقة بالله إلى عقلية "الاحتياط ضد كافة المخاطر".

وباختصار، فقد وصفت لهم أعراض زحف اهتراء بنيوي في العالم الغربي وتساءلت ما إذا كانت آلية ديموقراطيتنا مرنة إلى الدرجة الكافية للتعايش مع هذا التغير؟ أم أن الغرب سيسقط ضحية المرونة التي اختارها هو؟

ولم يعرف موظفو المعلومات [الاستخبارات] المحترمون الذين كانوا يجلسون حول تلك الطاولة كيف يبدون ردود أفعالهم، مما اضطرهم إلى الحفاظ على صمت طويل مخجل. إنهم لم يكونوا مهيئين للاستماع إلى تحليل لمشاكل العلاقات العامة يشير إلى أن انحطاط القيم الدينية في الغرب هو قضية أساسية هامة.

ثم تجرأ أحد المشاركين وسأل عما إذا كانت هناك فرصة للازدهار الديني في الغرب من جديد؟ فأجبته: إنني لا أرى فرصة للكنائس النصرانية الموجودة للعودة إلى الحياة من جديد لتتماشى مع احتياجات غالبية الشباب. كما أنكرت إمكانية إنشاء عقلية إيديولوجية غربية جديدة من خلال "هندسة اجتماعية" خالصة، وأضفت قائلاً: "وكما يبرهن ما يسمى بالكنائس السرية للشباب والفتيان، إن هذا الجيل يشعر بحاجة قوية للمشاعر والتوجيهات الدينية والإيديولوجية الفكرية. إن هذه الإمكانية حالياً هي تائهة ومتقلبة متنقلة بين كل من: الماركسية، المتشددين من أجل البيئة، وجماعة "هاري كريشنا" [الهندوسية المغالية المتطرفة]. إلا أنني لا أستبعد أن يقود هذا البحث عن الالتزام الديني وتلبية المشاعر الدينية الفردية والعامة إلى تبني ديانة غير أوربية ومختلفة تماماً عن الأديان المعروفة في أوروبا تعجب الشباب وتلبي احتياجاتهم على أنها حل وعلاج لآهاتهم وآلامهم المادية، دين يؤكد على الإخاء والأخوَّة، ويستبعد الهرمية الدينية، ويؤكد الحياة الطبيعية الإيجابية: إنه "الإسلام".

وقد اعتبر المستمعون الذين استمعوا إلى كلامي هذا أن ما أقول هو مجرد "نكتة، أو دعابة، أو مزاح"، إلا أنني لا أعتبره كذلك.

النساء في الإسلام

لوتزيلباخ. ٢٤ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٤

اجتمعت مجموعة من الفتيات المسلمات الألمانيات اللواتي اعتنقن الإسلام حديثاً في هذا البيت الذي يسمى: "بيت الإسلام" ينتظرن وقت المغادرة إلى مكة المكرمة لأداء "العمرة". وقد كان الجو العام شديداً نسبياً، إذ إن سفارة المملكة العربية السعودية ليس لها الصلاحية لمنح تأشيرات دخول لبعض نساء هذه المجموعة لم يكُنَّ متزوجات، ولم يكنْ معهنَّ مرافقٌ محرمٌ من الرجال (وذلك لأن آباءهن، وإخوانهن، وأقاربهن لم يسلموا بعد).

وترفض وزارة الخارجية السعودية بشكل روتيني السماح بدخول النساء العازبات خشية بحث هؤلاء عن أمير وبئر من النفط. كما أن الأحكام التقليدية للفقه الإسلامي الذي ينطبق على كل من الحج والعمرة لا تسمح للنساء غير المتزوجات بأداء هذه المناسك ما لم يرافقهن "محرم". ولا شك أن هذا الحكم عقلاني ومعقول تماماً إذا أخذنا بعين الاعتبار كافة الأمور المتعلقة بالسكن والمواصلات والظروف المناخية الصعبة أثناء فترة الحج خاصة، علماً بأنه قد يبدو سخيفاً في الظروف الحالية. (ولعل الفقهاء المسلمين في القرون الماضية لم يتخيلوا بمنتهى البساطة أن هناك حالة تكون فيها المرأة المسلمة الوحيدة بين أفراد أسرتها جميعاً!) [أجاز الإمام الشافعي رحمه الله السفر للنساء إذا كُنَّ أربعين فأكثر - المترجم].

والشكر موصول للمساعي الدؤوبة لمحمد صديق، وهو إمام ألماني متخرج من جامعة المدينة المنورة، والذي استطاع أخيراً إيجاد طريقة لحل

هذا المأزق، وبعد تأخير قصير، فقد تمَّ السماح لبعض السيدات الألمانيات المتقدمات في السن من الراغبات في أداء العمرة بالذهاب مع هذه المجموعة إلى مكة المكرمة.

يفترض بعض غير المسلمين أن النساء ممنوعات من الدخول إلى المساجد، أو أداء فريضة الحج. بل إن البعض لا يزالون يظنون أنه يُعْتَقَد أن النساء لا أرواح لهن. يا لها من فظاعة! كيف ستكون علاقة الإنسان بالحقيقة إذا كان الأمر كذلك؟ إن من البشاعة بمكان أن تستمر حياة مثل تلك الرموز في وجه البرهان الأكيد على ما يخالف ذلك؟

إن النساء، في عقيدة المسلم، ليس لهن أرواحٌ فحسب، بل إنهن يتمتعن بالحقوق الدينية ذاتها التي يتمتع بها الرجال، ولهذا، يجب عليهن أداء فريضة الحج، ما استطعن إلى ذلك سبيلاً. وحسب ما ورد على لسان الكاتب ديفيد لونغ *David Long* "الحج اليوم" (آلبَني - نيويورك ١٩٧٩)، فقد ذكر أنه في عام ١٩٧٢ كان (١٧٠٨٦٤) من العدد الإجمالي للحجاج إلى مكة المكرمة والبالغ عددهم (٤٧٩٣٣٩) من النساء، أي ما نسبته ٣٤،٦٪ من العدد الإجمالي للحجاج في ذلك العام. نعم، علماً بأن النساء لا يختلطن بالرجال وهن يؤدين الصلاة في المساجد، وهذا يشبه إلى حد كبير ما كانت تفعله النساء الكاثوليكيات عندما يذهبن إلى أداء الصلوات في الكنيسة حيث يجلسن على الجانب الأيسر من مقاعد الكنيسة فقط عند حضور القداس.

ومن نواحٍ أخرى، فإن النساء يتمتعن بصفة قانونية خلال الألف والأربعمئة سنة الماضية، وهي صفة قانونية لم تتمتع بها نظيراتهنَّ من النساء في أوربا، ولم يحصلْنَ عليها إلا خلال القرن العشرين فحسب. فليس للزواج، مثلاً، أي آثار سلبية على الإطلاق على ممتلكات المرأة. فإن المرأة، والمرأة فحسب، هي التي تستمر في إدارة ممتلكاتها، وبيعها، والتصرف

بها والتي كانت تملكها قبل الزواج، وبالشكل الذي تراه مناسباً لها. كما أن فصل الممتلكات (بدلاً من إشراف الذكر عليها) ليس إلا إنجازاً أوربياً حديثاً، هو أمرٌ قانوني مفروغٌ منه في النظام الإسلامي في كل عصور الأمة الإسلامية.

وكذلك، فحتى لو كان الأمر صحيحاً أن الأولاد الذكور يرثون حصة أكبر من البنات، إلا أن الأزواج فقط هم الذين ينفقون على الأسرة بأكملها. كما أنه إذا رفضت الزوجة إرضاع ولدها من ثديها، فإن على الزوج أن يتحمل نفقة المرضعة. كما أن الزوجة، أو الأم، لها الكلمة الأخيرة في تنشئة الأولاد، بل يمكنها أن تطلب من القاضي التفريق بينها وبين زوجها بالطلاق.

ومن حيث المبدأ، فإن النساء غير ممنوعات من ممارسة أية مهنة عادية. ففي معركة أحد عام ٦٢٧، شاركت النساء المسلمات في كتائب المعارك المساندة، وفي موقعة الجمل عام ٦٥٦، كانت فيها أم المؤمنين، زوج النبي ﷺ، الصديقة بنت الصديق، عائشة بنت أبي بكر، رضي الله عنها وأرضاها.

ولا شك أن هناك أموراً أخرى يمكن عرضها في هذا النقاش عن المساواة بين الجنسين في الإسلام، إلا أنه مهما كان الأمر، فإن على الناقد أن يستوعب الحقائق المذكورة هنا قبل أن يشنَّ هجمة شرسة عاتية شاملة على الإسلام معتقداً أنه يجب "تحرير المرأة" المسلمة!

أين تُخطئ الصوفية؟

آشافينبورغ. ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٤

يعتقد إدريس شاه، كما هي حال الصوفيين جميعاً، أنه لا يمكن أن يصبح الإنسان صوفياً من خلال قراءة الكتب وحدها. إلا أنه لا يزال يصدر النشرة تلو الأخرى، مستفيداً، ومبيناً حكمة الدراويش و"المجوس" السحرة. كما أن كتاباته تلقي شيئاً من الضوء على الطرق المجربة والثابتة للصوفية، بل قد تكون هذه الكتابات أكثر مما يبينه التحليل التاريخي - العلمي عن ظاهرة الرمزية والتصوف وما يمكن أن تقدمه، وبخاصة كتاب: "الأبعاد الرمزية في الإسلام" (تشابل هيل، ١٩٧٥)، الذي أعده أحد أبرز الخبراء الغربيين، البروفيسورة الأستاذة آنميري شايميل *Annemari Schimmel* (جامعة بون وجامعة هارفارد).

يمكن أن يصفق الناس لي إذا استطاع الباحثون عن الله أن يشكُّوا شكّاً مطلقاً بالمنطق الإنساني والتفكير الذكي على أنهما وسيلتان لإدراك ما وراء الطبيعة المحسوسة. ومع ذلك، فإن دخول شارع مسدود آخر لا يمكن أن يكون بديلاً عن دخول طريق خلفي مظلم تماماً لا يرى الماشي فيه شيئاً على الإطلاق؛ وذلك لأن الأسلوب العقلاني لقضية علم الوجود لا يمكننا من الخوض بعيداً، كما أن هذا لا يعني ضمناً أن الأسلوب غير العقلاني يمكن أن يقطع بنا مسافة أطول في البحث أيضاً.

بل على النقيض من ذلك، إن الرؤية الداخلية لا يمكن أن تنجح حيث يخفق الإدراك الحسي؛ وذلك لأننا وجدنا، كما في التحليل الأخير، أن الرؤية الداخلية ذاتها ليست سوى ناتجاً من نواتج الإدراك الحسي. وإن أي

تجربة رمزية ستكون صالحة فقط عندما يمكن أن نصوغها بأي لغة من لغاتنا. ولذا، فإننا نرى أنه حتى الإضاءات الناتجة عن شدة الوجد والانجذاب الصوفي تُقَدَّر مسبقاً، وتحدث ضمن الإطار الضيق للمفاهيم اللغوية الناتجة عن الخبرات الحسية. وبمعنى آخر، فإن المسار الداخلي ليس بديلاً على الإطلاق.

إننا لا يمكننا إطلاقاً أن نفرَّ من حدود الأجهزة الحسية التي نملكها. وليس هناك أموراً معقولة أو غير معقولة مجردة من الحس. كما أنه ليست هناك أية إضاءة خالية من الترابط المقدَّر لها، وإن كل هذا يتم توفيره من خلال المصطلحات التي نوجدها بأنفسنا لأنفسنا وبلغاتنا التي نفهمها.

وأيما كان الأمر، فإنه ليس هناك طريقة لتأكيد حقيقة علم الوجود لما يعتقد الصوفي أنه يراه بعينه الداخلية، ويسمعه بأذنٍ داخلية. إلا أن الناس، بشكل عام، يرغبون ويتشوقون جداً لسماع الكرامات والمعجزات لدرجة أنهم يخترعون أولياءهم (كما يسمي سكان شمال إفريقية صالحيهم)، حيث يعقد المرء قطعة قماش يقصها من ملابسه على ضريح أو على الشُّبَّاكِ المحيطة بقبر أحد هؤلاء، إذا لم تظهر شخصيات حكيمة ذات جاذبية خاصة.

ويجب أن يكون هناك شك كبير جداً كلما أراد الصوفيون أن يبينوا رغبتهم للاتحاد الصوفي بالله إذ يغذِّي هذا خداعاً يؤدي إلى هوية "وحدة الوجود"، بينما نعلم أن "الله" في الإسلام، فوق الوجود المحسوس، تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً. إن "وحدة الوجود" هي نوع من أنواع الشرك تسببت في وجودها الرغبة البشرية الهابطة الفانية للدخول إلى "الحضور الإلهي" الدائم، وهذا أمر منذرٌ بخطرٍ كبير. والأسوأ منه هو الادعاء الصوفي أن بعضهم، ممن حصلوا على الطريقة الصحيحة والتكريس الخالص، يمكنه الحصول على العلم الأفضل من الله ﷻ، من خلال

إضاءات وإلهامات خاصة، أكثر مما أوحي إلى كافة رسل الله عليهم الصلاة والسلام. وما هذا في اعتقادي إلا غرور يصل إلى حد الكفر [أعاذنا الله وإياكم منه].

إن الرجال والنساء الذين خلقهم ربنا تبارك وتعالى، وهو الخالق المصور البارئ العظيم الكامل الجلال والكمال، لا يعوزهم الانسجام، ولا يعوزهم التقويم السليم، وليسوا آلات مولودة بعيوب ذاتية منذ الولادة. وقد ميز الله ﷻ البشر عن الحيوانات بالتفكير والعقل. فهل يمكن أن نتصور بعد هذا أن هؤلاء البشر يمكنهم أن يعبدوا ربهم بشكل أفضل إذا انخلعوا من عقولهم وتفكيرهم وتجردوا منها؟

كما أنني لا أعتقد أن أهم جزء من الوحي، وهو القرآن الكريم، الذي أوحي ليستخدمه ويطبق شرائعه وتعاليمه هذا الإنسان على وجه الأرض ويتعبَّد الله به، هو رسالة تتألف من مجموعة من الرموز والأسرار الغامضة؛ ولذا، لا يتوصل إليها ولا يكشف غوامض معانيها وأسرارها إلا حفنة قليلة من فئة الخاصة فقط. فهل من الإسلام أن نحوِّل الإسلام، هذا الدين الوسط المعتدل بين الأديان كلها، إلى ميزة يختص بها الأرستقراطيون الأتقياء؟

دليل من الإنجيل

جيلنكيرشين. ٤ شباط/فبراير ١٩٨٥

أشار الكاتب صاحب مستقيم بليهير *Sahib Mustaqim Bleher* في كتابه: "دليل من الإنجيل" (ميليرويست ١٩٨٤) إلى فقرات ومقاطع من العهدين القديم والجديد تؤكد صحة القرآن الكريم بشكل عام، ورسالة النبي محمد ﷺ، بشكل خاص.

إن المسلمين الغربيين المعاصرين لا يتوقعون سوى القليل من الدراسات المقارنة بين كل من القرآن الكريم والإنجيل، وكأنه، كما يقول الأستاذ هانز كونغ *Hans Kung* بشكل متكرر: "ليس بوسع كل من الإسلام والنصرانية أن يسلطوا الكثير من الضوء على أصول بعضهما. (ويجب أن ينسب الفضل لأهله من رجال الدِّين النصارى مثل: آدولف فون هارناك *Adolf von Harnack*، وآدولف شكلاتر *Adolf Schlatter*، وبوول شوارزيناو *Paul Schwarzenau* لاعترافهم بأن القرآن الكريم حافظ على أقدم وأصح تفسيرات شخصية عيسى عليه السلام، ودوره وطبيعته، وبهذا فهو يذكر النصارى ويؤكد لهم تاريخهم".

إلا أن المسلمين الغربيين على ما يبدو يشغلهم رابط واحد بين كل من العهد الجديد [الإنجيل] و"القرآن الكريم" وهو: التنبؤ ببعثة محمد ﷺ، كما هي في الإنجيل. إصحاح حنا *John 14:16*، و١٣:١٦. ويتفق المسلمون (وهذا ما يؤكده البروفيسور كونغ أيضاً) أن القراءة الصحيحة لهذه الآيات: "بيركاليتوس" *Periklytos* (أي: أحمد بالعربية) بدلاً من "باراكاليتوس" *Parakeletos*، تعني أكثر من مجرد إشارة (١) أن هناك

رسولاً آخر بعد عيسى عليه السلام، (٢) وأن اسمه "محمد" ﷺ. كما أنه بالأهمية ذاتها أن نوافق على أن ترجمة الآية ١٤:٢٦ من إصحاح حنا *John*، يجب ألا تترجم على أنها *Parakeletos* أي: (المساعد) كما هي "الروح القدس" في المفهوم الذي تقدمه عقيدة التثليث. بل إن هناك تناقضاً واضحاً مع الآية ١٦:١٣ من إصحاح حنا *John*، حيث تستخدم كثير من ترجمات الإنجيل الترجمة الأخيرة التي أشرنا إليها وهي *Parakeletos* أي: (المساعد)، وبالتالي تمثل هذه الترجمات المزيد من التجرؤ على الإنجيل بإدخال المبادئ والأفكار الهيلينستية والغنوطسية إلى أي نص (مشكوك فيه).(وكأن الإنجيل البروتستانتي لم تدخله كمية كافية من الأكاذيب من قبل عمليات البلورة النصرانية التي مرت عبر العصور).

وقد يحقُّ للمرء أن يسأل، بالطبع، ألا يكفي أن نرى أن القرآن الكريم "سليم المحتوى" و"يؤكد نفسه بنفسه" بالكامل؟ وهل يحتاج الأنبياء إلى شجرة نسب من نوع خاص؟

هل من المساعد أن نؤكد وحي القرآن الكريم بمستندات ووثائق، والتي هي ذاتها، كما هي حال أكثر نصوص الإنجيل، وخاصة الإنجيل الذي كتبه القديس حنا *John*، تحتاج إلى توثيق وتحقيق؟

العقلانية، والحرية، والحب

بروكسل. ٧ شباط/فبراير ١٩٨٥

لقد أصاب مارسيل إتش. بويسوت *Marcel H. Boisot* مقتلاً بمقالته عن: "نظام القيم الغربي: سلاح أخلاقي" (العدد ٨٤/٣ المعهد الأوربي للأمن في لوكسمبورغ). فلدى تحليله للحالة الراهنة لنظام القيم الأوربية استنتج أن المدنية تتجه دائماً إلى كارثة إذا سمحوا لثلاثة عوامل أساسية بالخروج عن الاعتدال، كما يفعل الغرب اليوم، وهي" (١) العقلانية، (٢) الحرية، (٣) الحب.

إن الحرية إذا لم تعالج وتلطَّف بالحب فسينتج عنها استغلال يسبب فوضى كبيرة. وأما العقلانية إذا لم تعالج وتلطَّف بالحب فربما تؤدي إلى "محرقة". وأما الحب فإنه إذا لم يعالج ويلطَّف بالعقلانية فربما يصبح مدمراً للذات. وكذلك فإن العقلانية دون حرية هي "وصفة لأرخبيل جولاج: *Gulag Archipelago*.

اقرأ الإخاء (بدلاً من الحب)، احترم المعرفة التي يمكن التوصل إليها (بدلاً من العقلانية المجردة)، والكرامة الفردية (بدلاً من الحرية)، وستفهم عندئذ لماذا تستطيع الحضارة الإسلامية الحقيقية أن تتجنب الخلل الحالي في التوازن بين عوامل أساسية في الغرب.

لقد وزعتُ اليوم في المركز الرئيس لحلف شمال الأطلسي هذه النشرة على الحضور في مؤتمر مسؤولي المعلومات الوطنية، طالباً منهم أن يتجردوا من أنفسهم ولو مرة، ومن مشاكلهم الحالية ليتمكنوا من التركيز على الواجب الأطول مدى وهو: أن يحاولوا التعايش مع ثورة حضارية صامتة لا يمكن الإحساس بها أو إدراك أبعادها والتي تقرِضُ وتهدم أساسات نظام القيم الغربي.

لو أن سعادته قاوم قليلاً...

بروكسل، ٨ شباط/فبراير ١٩٨٥

عندما يخطئ النصارى في الدفاع عقلياً عن عقيدة التثليث، فإنهم يحاولون عبثاً الانخراط في بهلوانيات لغوية فقط ثم يتراجعون أخيراً مُدَّعِين أن "التثليث" هو لُغْزٌ لا يمكن شرحه وتفسيره.

كتب اليوم الدكتور جيرهارد إل. مولر، عمود "رسالة إلى المحرر" في صحيفة فرانكفورت آليجمين زايتونغ، وهذا ما نود التحدث عنه هنا. والكاتب هو رئيس قضاة أعلى في محكمة للعمل في ألمانيا، والذي شرح أن المحكمة لم تصدر في أي مرحلة من مراحلها إدانة بحق عيسى المسيح عليه السلام على أنه ذو طبيعتين مختلطتين: نصفه إله ونصفه بشر. "إن الرابط بين الإله والإنسان (في شخص عيسى (عليه السلام) هو من نوع خاص جداً بحيث لا يجد المرء له شبيهاً في تاريخ الأديان". (ويخطئ السيد مولر هنا. فإن التساؤلات الدينية لم تحبك بمثل هذه الدقة). ويستمر مولر في حديثه ليقول: لقد عُرِف عيسى على أنه "إله" لأنه باعتباره "ابناً سابق الوجود لله، فكان مستمر الوجود في الله، وبقي في الله عندما قبل الصفة البشرية من مريم عليها السلام، وبالذات من خلال "روح الله". "وقد أدت هذه الحادثة إلى بداية جديدة للبشرية، بدأت من عيسى عليه السلام، ولا يمكن التراجع فيها".

يا الله! لو أن سعادته قاوم قليلاً فقط كي لا يجمع بين مفردات صناعية جداً لا معنى لها! (أو: هل يجب أن يكون المسلمون شاكرين لهذا الإعلان العفوي؟) أليس من الأفضل (والأكثر احتراماً) لو أن هذا الشخص أعلن عن إفلاسه الفكري عندما سئل أن يشرح معنى "التثليث"؟

لا شك أنه كان من الأفضل لو أن السيد رئيس القضاة بحث قليلاً في التاريخ الرائع لفكرة "التثليث" ، حيث تألفت من إيزيس [إلهة الأمومة والخصب المصرية]، وأوزيريس [أحد آلهة مصر القديمة]، وهوروس، أو من الله الآب، ومن مريم، وعيسى، أو لوجوس، وعيسى. فلو أنه فعل ذلك كان لا بد له أن يعترف، كما فعل القديس حنا ، والقديس بولس، وديونيسوس الزائف قبله، ويستسلم ليلعب مباراة لغوية لعبها قبله كل من أفلاطون والغنوسطية.

من الواضح أن يقول القائل إنه يصعب أو يستحيل شرح الألغاز، وإنها حسب تعريفها ومنطوقها "ألغاز". إلا أننا على الرغم من كل هذا ما مُنِعْنا أن نؤكد أن الذي نسمعه أو نراه على أنه "لغزٌ" هو كذلك، أم أنه، كما هي الحال في موضوع "التثليث" ، صياغة تأملية لقلوب الناس وعقولهم وأفكارهم.

لقد مرَّ وقتٌ يمكن أن تستفيد فيه النصرانية من عقيدة التثليث هذه، وبخاصة عند دعوة الناس الذين يعتقدون بتعدد الآلهة وأنها على شكل هرمي إلى دين جديد. وأما اليوم، فإن عقيدة التثليث هي عبءٌ على النصرانية.

الديموقراطيات الإسلامية؟

بروكسل، ١٤ شباط/فبراير ١٩٨٥

تشوه سمعة السعوديين بشكل متكرر على أنهم "أصوليون متزمتون". وإن هذا مفهوم غريب إذا كان المقصود منه جهودهم في محاربة الخرافات والفساد. والواقع أن السلطات السعودية، وهي تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار، وضعت سوراً حول ما يسمى "قبر حواء"، أم البشر، في جدة، ومنعت ما يمكن أن يسمى "عبادة الأبطال" (أو ما قد يكون أسوأ من ذلك) في المقبرة التاريخية في البقيع بالمدينة المنورة.

كما أن مثل هذا الاتهام غريب أيضاً إذا كان المقصود منه الحركة الإصلاحية لمحمد بن عبد الوهاب (والتي تعرف بين عامة الناس بالوهابية) للأعراف في مكة المكرمة، وذلك لأننا كما نعرف بالتفصيل من هينريك فون مالتزان *Heirich von Maltzan* الذي استطاع أن يتسلل خفية إلى مكة المكرمة عام ١٨٦٠، حيث كانت في ذلك الوقت مكاناً للأفيون، والمواخير، وأمكنة تأوي إليها اللصوص.

وأخيراً، يبدو لي أن هناك كثيراً من الطيش والتهور أن تشوه سمعة السعوديين وطريقة حياتهم بسبب اتباعهم الدِّين كطريقة جادة للحياة كما فعل النصارى قبلهم في قديم الزمان.

إذا كان التزمت الأصولي تعبيراً عن النفاق وغياب الرضى عن الذات، فعندئذ نقول: نعم، إن هناك عدداً من الأصوليين بين السعوديين، ويمكنهم أن يفخروا بذلك.

إنهم قد يشعرون بأن التقدم إلى الأمام في حالة محددة كما هي حالتنا اليوم يتطلب تبني "قدوة" تمت تجربتها وأثبتت كفاءتها في الماضي. ومهما كان الأمر، فإن موقفاً مثل هذا - التحفظ البناء - هو وضعية محترمة في الغرب، شريطة ألا يكون من يقوم بها "مسلماً".

ومن المؤكد أنه ليس أمراً بدائياً أن ندافع عن الفرضية التي تقول إن حل المشاكل الاجتماعية الذي أسسه محمد ﷺ، والخلفاء الراشدون الأربعة من بعده ﷺ، هو "قدوة" حقيقية لحل مشاكل مجتمعات ما بعد العصر الصناعي. كما أنه ليس من السذاجة المصادقة، كما يفعل السعوديون، على موقف سلبي تجاه فلسفة تأملية وعقيدة تعرِّفها المدرسة الفلسفية "الأشعرية" [الأشاعرة ٨٧٤ - ٩٣٥ ميلادية]. فهل هذا النقد الأساسي لفلسفة الوجود والميتافيزيقية هو بدائي فقط لأنه أُسِّس قبل قرون من الفلاسفة المشهورين ديفيد هيوم، وعمانويل كانط، ولودويغ ويتنجيستاين؟

وفي الملاذ الأخير، فقد ركَّز النقاد الغربيون على الأصولية الإسلامية وموقف الإسلام تجاه النموذج الغربي للديموقراطية التعددية البرلمانية. وقد تغاضى هؤلاء النقاد عن حقيقة أن كثيراً من المتحررين الغربيين والاشتراكيين يعيشون بمنتهى الراحة في دستورية ملكية تعطي النصرانية وضعية قانونية متميزة ذات امتيازات ودون أية نزعات أو مواقف عدائية ضدها. وهكذا، فإن الإسلام أيضاً لا يفرض حكومة دينية استبدادية.

ولا يمكننا هنا أن نجزم بشكل حاسم أن تاريخ الإسلام ليس تاريخاً للتطور الديمقراطي. ولقد عانى النصارى تحت حكم "الحكام المتنورين" الشرير البغيض، وتحت حكم "الملوك المتنورين"، وتحت ظل "الأباطرة الأتقياء" وفي ظل "خلفاء الله"؛ وكذلك المسلمون والشعوب الإسلامية فقد عانوا هم أيضاً وتحملوا كثيراً من المعاناة في ظل السلاطين الجائرين،

والخلفاء، والأمراء. بل في الواقع، إن التاريخ القانوني للإسلام يمكن أن يُعْتَبَرُ كفاحاً مريراً وطويلاً بين فكرة التحرير. نظام الحكم الإسلامي الذي يضمن المساواة، والعدالة والأمن ضد الاستبداد - والقوة المستبدة الوحشية الواقعية. ولقد كان هذا سبباً كافياً أن يوجِّه البروفيسور الأستاذ كارل جي نيومان، في مقاله في صحيفة فرانكفورت آليجمين زايتونغ سؤاله: "هل توجد دولة واحدة اليوم غير دكتاتورية تحت حكم الهلال [المسلمين]؟

نعم، لا شك أن الإسلام لا يزال مديناً للبشرية بأن يقدم برهاناً مناسباً وأكيداً على أن دولة إسلامية حديثة (أو "دينية - ديموقراطية" كما يسميها المفكر الإسلامي أبو الأعلى المودودي)، بالنظرية والتطبيق، يمكنها أن تؤكد الحكم المشارك للقانون حسب كل من القرآن الكريم ولوائح الحقوق الأساسية للإنسان.

ليس هناك خطر ما لم يكن هناك ضرب...

بروكسل. ٢٥ شباط/فبراير ١٩٨٥

لم يعانِ أحد من هجمات الإرهابيين في العقدين الماضيين أكثر من الدبلوماسيين. وبالتالي، فقد تلقوا كثيراً من نصائح الخبراء المختصين عن كيفية النجاة من التفجير داخل سياراتهم الخاصة، أو الاحتياط ضد الاختطاف، أو التعرض لرصاص القناصة.

ومع كل هذا، فإنهم حتى لو أنهم اتبعوا كافة النصائح التي توجه إليهم فإنهم لن يكونوا قادرين على زيادة أعمارهم ولو "ثانية" واحدة حسب ما أعتقد. وإن الرصاصة التي أخطأت هدفها ولو أقل من ميليمتر لن تسبب خطراً حقيقياً [والله أعلم]، وأما الطلقة التي ليراد لها] أن تصيب، فلن تخطئ مرماها. [والله أعلم].

ولا يعني هذا على الإطلاق أن المسلم لا ينبغي له أن يتعرف على المزايا المتقدمة لكل من مسدس "هيكلر آند كوخ بي٧إم١٤"، إلا أنه يجب ألا يستسلم لخداع ما يقال له: "إن أيامك غير معدودة". ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦/٢]، و﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥/٣].

ويبدو لي أنني لم أحصل على ذلك "الإذن" بالرجوع عندما قصف الأمريكان والإنجليز قذائفهم وقنابلهم على البلدة التي أقيم فيها كل أسبوعين أثناء الحرب العالمية الثانية. وكذلك لم أحصل على هذا "الإذن" أيضاً في حادث تحطم السيارة التي كنت أستقلها في ولاية ميسيسيبي في السادس والعشرين من شهر حزيران/يونيو عام ١٩٥١. ولم أحصل على هذا

الإذن" أيضاً بعد أربعة عشر يوماً من هذا الحادث المروع، لدى عودتي إلى واشنطن حيث أطلق "مجنون" رصاصة من خلال زجاج نافذة القطار الذي كنت أستقله في تينيسي، ولم تكن هذه الرصاصة سوى على بعد بوصات فقط من رأسي. بل ولم أحصل على هذا الإذن" أيضاً عندما تقرر إرسالي سفيراً إلى جدة عام ١٩٧٦، فاكتشف الأطباء أن لدي ورماً سرطانياً في الكلية اليسرى. "الأمر كله قسمةٌ ونصيب..."

دعوة قائمة ومستمرة...

بروكسيل . ٩ آذار/مارس١٩٨٥

ركّز المعرض السابع عشر للكتاب العالمي في مركز روجر في بروكسيل على الكتب المنشورة باللغتين الفرنسية والألمانية. وكنت متفائلاً أن أجد بعض المنشورات الجديدة في الأدب الإسلامي. وقد وجهني الكمبيوتر الموجود في مركز المعلومات إلى مؤلفات عن الفئات السرية القليلة بما في ذلك كتب دراويش المولوية والنكات العملية للشيخ نصر الدين. ولم أستطع أن أجد طلبتي إلا في مكان عرض الكتب الألمانية والتي نشرتها دور نشر في كولونيا بعنوان: "ببليوغرافية إسلامية".

ومقارنة مع المنافسة الشديدة مع قوى البعثات التنصيرية هنا فإني رأيت الأمر مخجلاً تماماً. وفي الواقع، لم تكن الدول الشيوعية، والمذاهب النصرانية الزائفة مثل "هولي غريل"، والفرق الإسلامية المهرطقة الخارجة عن الدين مثل الداهشتية، والحلقات الفلكية، والجماعات التي تدعم الشذوذ الجنسي، لِتَشْغَلَ جميعُها دوراً كاملاً في مركز روجر في معرض الكتاب العالمي.

وقد وقف عدد من النساء البلجيكيات الجريئات من أعضاء الحركة البهائية، يظهرن حماساً إنسانياً تذكارياً لذكرى "شيلر" و"فان بيتهوفن" يهتفن: "ملايين العناقات!" ترى هل يفتقر المسلمون إلى الخيال، وفن التجارة، والمهارات التنظيمية التي ظهرت هنا من خبراء البهائية، أتباع "بهاء الله"؟ أم أن العزة الإسلامية تأبى أن تظهر مع مثل تلك المستويات، كما

هي حال الكنيسة الكاثوليكية هنا، جنباً إلى جنب مع جماعات انتهازية منتفعة من المنظمات السرية المضادة والمعادية لحضارات البشر؟

إن الإسلام، في الواقع، لا يفضّل الأعمال التبشيرية المنظمة النشطة إلى حد استعداء الآخرين والتعدي على حقوقهم. إنه دينٌ يضع ثقته في جاذبية الأفراد المسلمين الذين يجعلون من حياتهم قدوة للآخرين. إن الأسلوب "الدعائي" الكاثوليكي ليس النموذج الذي يفضله الإسلام. بل على خلاف ذلك، يتصور الإسلام نفسه على أنه دعوة قائمة ومستمرة، وهو دينٌ بابه مفتوح على مصراعيه، ويداه ممدودتان لترحب وتعانق أي قادمٍ زائر، ورسالته "ذاتية الشرح" لا تحتاج إلى المزيد من التفسير والدعاية والإعلانات. وبمعنى آخر، يعتمد هذا الدين العظيم على التأثير التلقائي لعفويته وبساطته، ووضوحه وعقلانيته وموافقته للعقل السليم لكل راغبٍ ومريدٍ وقادرٍ أن يسمع ويرى.

إن مثل هذا الموقف يمكن أن يكون له معنى إذا اعتقد المرء أن الله وحده هو الهادي إلى الصراط المستقيم، وهو يهدي من يشاء، وبالطريقة التي يريدها. وبناء على هذه الخلفية، فإن عرض الإسلام على الطرقات وفي زوايا الشوارع يبدو في الحقيقة أمراً ليس في مكانه.

إلا أن الإيمان شيء والجبرية، أو الإيمان بالقضاء والقدر، شيء آخر. ويجب أن يكون المسلم مدركاً للحقيقة المعروفة وهي أن الله مسبب كل الأمور، وأنه السبب الأول في مجريات الأمور والحوادث كلها. ومع ذلك، فيجب ألا نجعله حلقة في سلسلة السببية التي تؤدي إلى اعتناق إسلام جارنا مثلاً. ويجب على المرء أن يصلي صلاة مودّعٍ لهذه الحياة، إلا أنه يجب عليه أيضاً أن يخطط ويعمل وكأنه سيعيش خمسين سنة أخرى.

ويمكن أن يتعلم المسلمون، في هذا المجال، من فلسفة ماركس للحتمية المادية التاريخية، والتي يُحتمل أن تكون قد اتخذت عذراً في

الموقف السلبي المستسلم. إلا أن لينين صبغ الشيوعية بالفعالية البلشفية (استعمال القوة لتحقيق الأغراض السياسية). وقد خدمت الكوادر الحزبية باختيارها في تحقيق "العمليات التاريخية الحتمية"، عاملة على تسريع مسار التاريخ أثناء مسيره باتجاه الهدف المُقدَّر له بالاشتراكية التامة على المستوى العالمي.

نعم، إنه يجب أن يسمح المسلمون أيضاً لأنفسهم أن يكونوا أداة فاعلة في نشر دعوتهم ومبادئهم الدينية حسب أفضل تقديراتهم وقدراتهم.

قالت: "آه"...

بروكسيل. ١١ آذار/مارس ١٩٨٥

علمت السيدة الإسبانية الجالسة إلى جانبي على المائدة في عشاء دبلوماسي أنني مسلم. فقالت: "آه، إنك أحد الذين لا يزالون بانتظار ولادة الإله". وقد ذُهِلْتُ لحظاتٍ حيث أدركت المدى الكامل الذي وصل إليه تحريف مفهوم الإسلام، ولم أستطع أن أنبس ببنت شفة! وقد خطر لي أن أتلو على مسامع هذه السيدة سورة الإخلاص وأن الله ﷻ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾، إلا أنني قررت أن أغير الموضوع وقلت بدلاً من ذلك: "إن هذا الأمر هو أحد الأمور التي لا ينتظر المسلمون حدوثها".

ألمْ أتعلَّمْ في قواعد "الإتيكيت" أن الأمور المتعلقة بالسياسة، والدين، والصحة يجب أن يتجنب الإنسان الحديث عنها على مائدة الطعام؟

أربعة "شحارير" من اسطنبول...

بروكسيل. ٣١ آذار/مارس١٩٨٥

كانت هناك سلسلة حفلات موسيقية في الكنيسة البروتستانتية القريبة من القصر الملكي ستقدم موسيقى مقدسة من الأديان العالمية العظمى. وكان أحسن ما ينطبق على اسم هذا البرنامج شعار "هوغو بوول" *Hugo Ball*: "إن الفن هو أقرب ما يكون إلى الدين منه إلى العلم". وها نحن اليوم نشهد أداء ضيوف من "المؤذنين الأتراك"، الذين قدموا "تلاوة من القرآن الكريم بالعربية، وقدموا بالتركية مختارات شعرية من شعر الشاعر سليمان شيليبي *Suleyman Celebi* [القرن الرابع عشر الميلادي]، والتي تُعْتَبَرُ جزءاً من الاحتفالات التي يقيمها الأتراك الأحناف في ذكرى مولد النبي ﷺ.

وقد قدَّم منظم الحفل أولاً تفسيراً للخلاف بين الموسيقى الصوفية التي تستخدم الإيقاع بالدف، والتلاوة أو المديح الخاص الذي يقدمه هؤلاء المؤذنون الأربعة، وكيف يشكِّل هذا المديح، بناء على الإيقاع الداخلي، لحناً متميزاً باستخدام النصوص القرآنية. واختتم المتحدث كلمته طالباً منَّا الامتناع عن التصفيق، إذ إن مثل هذه الموسيقى المقدسة يجب ألا تبتعد كثيراً عن المحتوى الحقيقي والهدف منها، ألا وهو "الصلاة" [أو: الدعاء].

وقد قدَّم هؤلاء الشحارير الأربعة أداء متميزاً، والفضل في ذلك [والله أعلم] لطبقة أصواتهم العالية الصداحة، وكذلك الواضحة المعبرة والراجية أيضاً. ولقد تأثر كثير من الحضور بدرجة بالغة بما سمعوه بما لاحظناه من

شدة تركيزهم وإصغائهم وبذل كل اهتمامهم ورغبتهم في متابعة هذا الأداء الفريد. وكان هؤلاء في الحقيقة من أروع عناصر الفن الإسلامي!

ومهما كان الأمر، فإنني لم أشعر براحة تامة. فهل يجب على أحدنا [من المسلمين] أن يخدم القرآن بشكل جمالي مزيَّنٍ كي يستمتع الناس به؟ "الفنُّ للفنِّ!" ألم يكن للفيلسوف الألماني المشهور "فريدريك نيتشه" الغريزة الصحيحة، بمعناها الواسع، عندما كتب كتابه: "مولد المأساة" أن "النصرانية الحقيقية تنفي كافة القيم الجمالية؟"

ترى، ألم يكن في تكرار لفظ الجلالة "الله"، واسم النبي "محمد" ﷺ، بتكرارٍ متساوٍ، كافياً لأن يؤكد المفهوم الخاطئ لدى الناس أن المسلمين، مشابهة بالنصارى، هم "محمديون" [أي يعبدون محمداً ﷺ، حاشا وكلا].

ترى، أليس المسلمون الوهابيون على حق حينما لا يشجعون أداء كل من الأذان والإقامة بطريقة تتميز بالفن والأداء الموسيقي الجميل المتميز؟

ترى، ألم نصل اليوم إلى الحد الذي نشعر فيه أن الفن هو الذي يسيطر ويتغلب على الصلاة، حيث يكون الفن عقبة في طريق الصلاة؟

الحب الأخوي مقابل الإخاء

الجمعة العظيمة. ٥ نيسان/أبريل١٩٨٥

يمكن اعتبار أمر تكريس الصحيفة الألمانية المرموقة "فرانكفورتر آلجيمان زيتونغ" وصحيفة "داي ويلت"، صفحة كاملة للتعاليم النصرانية في يوم عيد الفصح أمراً مفروغاً منه. ولكن، لا يمكن أن يُعَدُّ بأي حال من الأحوال، أمراً مفروغاً منه أن تركّز مثل هاتين الصحيفتين اليوميتين المشهورتين الألمانيتين على الإسلام على أنه: "أسرع الأديان انتشاراً في أي مكان في العالم"، كما فعلتا معاً في هذا العام.

ومن المؤسف أننا لم نستغل هذه المناسبة للتعريف بأهمية القاعدة العامة المشتركة بين كل من اليهودية والنصرانية والإسلام. وقد كتب كارل - آلفريد أودين: "إن ما يفرِّق بينهم هو: كيف يكون الإله إلهاً؟" فحسب صيغة النصارى: "الإله هو الحب..." [الصحيفة الألمانية "فرانكفورتر آلجيمان زيتونغ"، ٤ أبريل/١٩٨٥].

إن الكاتب أودين محِقٌّ عندما يستخدم مصطلح: "صيغة" إذ إن ذلك هو تماماً كما يقول، وليس غير. إلا أنه غير مصيبٍ في مصطلحات المجادلة: "إن الموت على الصليب، وهو رمز التألم من أجل الإنسانية، فإن الإله يخلّصُ البشرية بتحمل تلك الآلام شخصياً [بدلاً عنهم]". وللتبسيط الشديد، فإن "حب النصارى للإله" إما أن يكون مساوياً لحبٍّ "اللّه"، الرحمن الرحيم، أو أنه "ليس إلهاً على الإطلاق".

ويمكن أن يسلط تحليل مفهوم "الحب" الضوء على هذا المفهوم. يربط بنو البشر الحبَّ بالتضحية والفداء، وهكذا فهم يتحدون مع شخص آخر.

وحتى يكتمل الحب، لا بد من حبٍّ مماثل من الطرف الآخر. ويقبل كلا المحبين شريكه على أنه على المستوى ذاته من الحب، إلا أنهما يضعان نفسيهما على قاعدة أعلى، ويحتاج كل منهما الآخر، بحيث يصبح كل منهما أكثر اعتماداً على الآخر في أحسن معنى.

إلا أن "الله" ﷻ، لا يمكن أن يحب الناس من مخلوقاته بهذه الطريقة، وإلا فلن يكون الله متعالياً، متفرداً، تاماً، كامل الألوهية، مطلقاً، وله السيادة في الأمور كلها، وصمداً كما هو سبحانه وتعالى في سورة الحشر: ٢٣/٥٩: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ولاشك أن من الكفر بالله أن يجادل المرء أن الله ﷻ، دون ذكر "اسمه" تعالى، ودون مخلوقاته ﷻ، هو أفقر مما هو عليه بهما. لقد كان الله قبل أن يكون الزمن، وقبل أن يكون الخلق، وهو على الدوام "الحيُّ القيوم الفرد الصمد الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد".

ولهذا، فإن حب الله ﷻ لمخلوقاته يجب أن يدرك على أنه علاقةٌ "غير متساوية ولا متماثلة على الإطلاق" الفارق الشبه بينهما!، وهذا لا ينقص من كمال الله الحي القيوم العليم الخبير الذي لا يحتاج إلى أي من مخلوقاته، فهو الفرد الصمد العزيز الماجد الواحد الأحد سبحانه في ملكه وملكوته، و: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. وهذا يعني أن الله يمكنه ﷻ أن يكون عطوفاً، شفيقاً، رحيماً، ورحماناً بمخلوقاته جميعها إذا أراد ورغب ﷻ، إلا أنه قادرٌ سبحانه أن يكون عادلاً ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾، ومقتدرٌ سبحانه على إلحاق العذاب الأليم بمن خالف أوامره ونواهيه، أو عَبَدَ إلهاً غيره.

وعندما يشير النصارى إلى إله الحب الذي عندهم فإنهم لا يفكرون عادة "بالله"، بل بعيسى عليه السلام، الذي يمكن أن يكون، كما هي حال

البشر، فداء، بل وحتى يمكنه أن يفدي نفسه من أجل إخوانه وأحبابه. إلا أن "الله" ﷻ، مع أنه قد يقبل الفداء والأضحيات والتضحيات من عباده، فإنه ليس بحاجة إليها على الإطلاق. فإذا كان لديه ضرورة للتضحية بنفسه ﷻ (أو بجزء منها) [حاشا وكلا]، فإن هذا يتعارض مع ذاته العلية، فهو الذي ندعوه "الله، العلي، الحكيم، المنزه عن الشبيه والندِّ والمثيل ﷻ". فإن الله ﷻ يغفر، إذا أراد، فليس هناك من يملي إرادة أو مشيئة فوق إرادته ومشيئته ﷻ. ويفخر النصارى بالتقدم المفاجئ في المعرفة الذي حدث في وقت تميز بأحداث خاصة تمثلت بمفهوم "إله الحب". وفي حقيقة الأمر، فإن المفهوم الفلسفي والديني لله يعتبر هذا تراجعاً هائلاً لمفهوم "الله". وقد تهدد كافة التقدم الذي حققه كل من الفلاسفة اليونان ومفكريهم، وأنبياء اليهود بهذه الفكرة النصرانية لتجسيد الإله بمزايا بشرية. وكما هي الحال الآن، فإن النصارى يسقطون الآن الرغبات التي يستوحونها من خوفهم على مفهومهم عن الإله المعبود، معللين بذلك الرغبة الحتمية الناتجة عن وجهة النظر المحجوبة عن الله تبارك وتعالى. فإذا استطاع عيسى عليه السلام، أن يحقق تقدماً تاريخياً غير مسبوق، فإنما كان ذلك بسبب قدرته على حب الله ﷻ، وقدرته على حب جاره كما يحب نفسه. إلا أن الأمر سيكون مجرد إساءة وتشويه للسمعة أن ينكر شخص ما أن الإسلام يجسد هذه الأوامر ذاتها. إن "الحب الأخوي" لدى النصارى، و"أخوَّة الإسلام" مفهومان يعنيان الشيء ذاته تماماً.

إنه مسلم، ومع ذلك فإنه ليس غبياً!

بروكسيل. ٩ نيسان/أبريل ١٩٨٥

كنت أستضيف عدداً من الزوار الذين يستضيفهم مركز المعلومات في حلف شمال الأطلسي على الغداء مرة كل أسبوع، أو مرتين، في المركز الرئيس للحلف. واعتاد "الندلاء" الذين يقدمون الغداء في المطعم أن يضعوا قارورة من المياه المعدنية في المكان الذي أجلس فيه، بدلاً من قارورة "خمر". كما أنهم اعتادوا أن يستبدلوا أطباقاً أخرى، بدلاً من الأطباق التي أعدت بلحم الخنزير، فيقدمون لحماً غير لحم الخنزير لغدائي بشكل أكيد. وقد لاحظ كثير من الضيوف هذه الحركات.

وكنت كلما شرحت لضيوفي أن "غذائي" هو بناء على أنني "مسلم"، ولله الحمد، ظنَّ كثيرون منهم أنني كنت هازلاً في كلامي، وبخاصة عندما استمعوا قبل قليل لما كنت أقدمه من إيجازات عن موضوعات مثل: "العلاقات بين الشرق والغرب"، و"مسائل الحدِّ من التسلُّح"، و"الاستراتيجيات البديلة"، أو "الرأي العام". (إنه ليس غبياً، ومع ذلك فإنه مسلم!)

وقد نقلهم الاستطلاع وحبُّ الفضول إلى المرحلة التالية. فكانوا يسألون مثلاً: "ماذا - بحق الجحيم - [أستغفر الله العظيم] دفع بك إلى الإسلام؟"

وكان هذا يقود عادة إلى المرحلة الثالثة من المحادثة التساؤلية التي تتميز بأنسامٍ من التمييز العنصري والمخاوف الدفينة المبطنة عن الإسلام.

وإليكم بعض "الكليشهات" المألوفة جداً: "الحرب المقدسة" [الجهاد]، "تعدد الزوجات"، والخميني".

وكنت أحاول بصبرٍ بالغ أن أشرح لهم أن: "الحرب المقدسة" هي مصطلح غربي. وأما المفهوم الذي يشير إليه هذا المصطلح فهو "الجهاد"، والذي يعني أصل جذر الفعل منه "المحاولة الأخلاقية الفاضلة". كما كنت أشير (بملاحظة ناقدة إلى الصليبيين والحملات الصليبية) إلى أن الآية ٢٥٦ من سورة البقرة، تقضي بأنه: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾، وهذا خاص فيما يتعلق بأمر الدِّين والإيمان.

ولا شك أنني أعترف حالاً أن الاختلاف الديني بين السُّنة والشيعة قد يتباعد أكبر بكثير مما هو عليه الحال بين الكاثوليك والبروتستانت.

فعندما أتحدث عن قوانين الزواج الإسلامي فإنني ألفت انتباه ضيوفي إلى إمكانية حجب الزوجة لأقرب قريبة [الأخت] بموجب عقد زواجها. كما أؤكد لمستمعيَّ أيضاً أن في المجتمعات المعاصرة البالغة الحساسية الآن سيكون بمنتهى الصعوبة الالتزام بالشروط التي أملاها القرآن الكريم عن تعدد الزوجات، كما هي الحال في الآية ١٢٩ من سورة النساء: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾.

وعادة ما تنتهي مثل هذه المحادثات على الموائد بالتعادل. وما الذي أريد أن أحصل عليه في هذه العجالة سوى أن أحرز تقدماً ولو بسيطاً جداً في أن يزداد احترام غير المسلمين لهذا الدين، ولو بشيء يسير؟

ومع ذلك، فإن الزوار الشباب هم أكثر انجذاباً وتعلقاً إلى عناصر معينة من هذا الدين: وهو أن يتمكن المسلم من مقابلة ربه ﷻ، متحرراً ودون أي تدخل ووساطة من رجال الدين. ولا عجب في هذا على الإطلاق. إن

لهؤلاء الشباب أهدافاً خاصة يسعون إلى تحقيقها فيما يتعلق بالعبادات والطقوس، والتقاليد الرسمية، والهياكل البيروقراطية.

ومهما كانت الفرص أمامي صغيرة جداً، فإنني لم أيأس من أن يتأثر بعض ضيوفي، من خلال المحادثات على مائدة الغداء، ببعض اللمحات الروحانية الرائعة من الإسلام، وأن يدركوا أن هذا الدِّين العظيم يمثل ذروة الذكاء البشري وأرقى ما توصلت إليه الأخلاق.

والله أعلى وأعلم.

الإنجيل، والقرآن الكريم والعلم

بروكسيل. ١١ نيسان/أبريل ١٩٨٥

إن كتاب موريس بوكاي *Maurice Bucaille* " الإنجيل، والقرآن الكريم والعلم"، والذي يحمل عنواناً ثانوياً هو: "الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث"، لا يعدو أن يكون تأكيداً ملحوظاً لمصادر الإسلام. لقد أخفق كثير من اليهود الملتزمين في أن يدركوا الكمَّ الهائل من الكتابة الأدبية التي وضعها البشر في "العهد القديم" بحيث أصبح من المستحيل تقريباً تنقية ما يمكن اعتباره من "الوحي" السماوي منه.

ويمكن أن نقول الشيء ذاته عن النصارى أيضاً. ويبدو أنهم يعانون من عقبةٍ ذهنيةٍ عندما يُواجهون بالحقيقة القائلة: "إن العهد الجديد، بما يحتويه من الأناجيل الأربعة، ليس نقلاً دقيقاً لما رأته عيون الكتَّاب وشهدوه في كثير من الأمور الواردة فيه، بل هو تعليقات منقولة عن أشخاص آخرين لم يشهدوا من قال النص الأصلي أو تلقاه كوحي من السماء". إن التفسير الذي تقدِّمه النصرانية اليوم عن دور عيسى عليه السلام والذي يُعَدُّ تفسيراً نموذجياً للنصارى المعاصرين، إنما اقترحه الموالون للهيلينستيين من أتباع مذهب المغالي القديس بولس، والذي سيطر عليهم كل من الغنوطسيين والأفلاطونية المحدثة. ولقد كانت هذه الزمرة ناجحة جداً بحيث تمكنوا من دفع مناوئيهم من اليهود ـ النصارى، خارج حدود الذاكرة، وليس خارج حدود مسرح الأحداث فحسب.

وقد عدَّد بوكاي أولاً كثيراً من الحالات التي يتناقض فيها الإنجيل مع الحقائق العلمية الثابتة، كتسلسل أعمال الخلق، مثلاً، ونسب عيسى عليه السلام،

وتواريخ أحداث تاريخية محددة. ويذكر بعد ذلك المغالطات المشهورة بين مختلف فرق الإنجيليين فيما يتعلق بالبعث وتضحية القربان المقدس.

ويعترف بوكاي أنه كان مدهوشاً جداً عندما اكتشف للمرة الأولى أنه لا يمكن أن يهاجم القرآن الكريم بناء على دقة المعلومات العلمية الموجودة فيه كما هي الحال في الحالات المماثلة في الكتب السماوية الأخرى. كما ازدادت دهشته عندما وجد أنه، على النقيض من ذلك، لا توجد في القرآن الكريم عبارة واحدة تهتز أمام التحديات العلمية، سواء أكانت تتعلق بالكون، أم الوراثة، أم البحث في أعماق البحار والمحيطات. بل إن القرآن الكريم يتحدث بدقة متناهية عن تفاصيل مراحل تطور الأجنة، بل لقد تحدث القرآن الكريم عن حقائق لم تُكتَشف إلا خلال وقت قريب بفضل المجاهر الدقيقة جداً التي تستعمل داخل الرحم.

ويختتم بوكاي تأكيداته قائلاً: "في اعتقادي، إنه ليس هناك تفسير طبيعي للقرآن الكريم". كما أن المؤلف، من جهة أخرى، وجد من الأحاديث الضعيفة والموضوعة المنسوبة إلى رسول الله ﷺ، والتي تتحدث عن بعض الأمور العلمية التي لا معنى لها، مما يقوي تأكيده على صحة ما وجده.

وكذلك، فإن بوكاي، كما كان محمد إقبال قبله، كان تواقاً جداً أن يكتشف المزيد من البراهين عن الحقائق العلمية الموجودة في القرآن الكريم التي توقع المرء في الفخ الذاتي. فمثلاً، عندما وجد تنبؤاً عن رواد الفضاء المعاصرين وعن البحث في مجال الفضاء، كما هو الحال في سورة الرحمن ٥٥/٣٣: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾، فإنه لم يجد سوى ما استودعه هو من خلال إعادة تعريف المصطلحات. وقد يؤدي هذا الأسلوب إلى خطرٍ كبير إذ قد يعتقد بعض قرّاء القرآن الكريم أنه قد يعالج الأمور العلمية على أنها

وحيٌ، ولا يتذكرون أن الحقائق الدينية، غير العلمية، هي الأخرى صلب اهتمام الوحي في الموضوع. إن الاكتشافات العلمية لا يمكنها أن تنفي صلاحية الوحي الأصيل، إلا أن القرآن الكريم ليس كتاباً مختصراً وافياً للفيزياء، وعلم الأحياء، والكيمياء.